**مقدمة**

إن تحديد مفهوم التاريخ بصورة واضحة وشاملة أمر مهم، ذلك لأن فكرة التاريخ وطبيعته لها دلالات مهمة، فمن خلال توضيح مضمون فكرة التاريخ بكل أبعادها يمكننا أن نستخلص قيمة هذه المادة وفوائدها، حيث تناولت كثير من الكتابات القديمة والحديثة مفهوم التاريخ وعالجته من زوايا ومنطلقات مختلفة.

وعلى مر العصور تغيرت تعريفات جوهر التاريخ، لكن البحث عن هذا الجوهر لم يهدأ لحد الساعة نظرا لتعدد واختلاف من يفسرونه، فهو الصراع بين مدينة الله ومدينة الإنسان عند القديس "أوغسطين"، وهو الصراع بين الرسل والملوك عند الطبري، وهو العمران عند ابن خلدون، وهو الطبقة عند "كارل ماركس"،وهو الروح عند "هيجل"...

**أولا: تعريف التاريخ**

**01- لغة:** يرجع البعض كلمة "تاريخ" إلى أصول غير عربية، فمنهم من يراها من الأصل العبري "ياريح" والتي معناها القمر، أو من "يرِحَ" ومعناها الشهر، فيكون بذلك مفهوم التاريخ : تحديد الشهر أو التوقيت، ومنهم من أرجعها إلى الأصل الأكدي "أرخو"، والراجح عند المحققين والمؤرخين أنها ذات أصل عربي مأخوذة من الفعل "أَرَخَ" والذي له تصريفان:

أ- أرَخ، يأرخ، أروخًا بمعنى حنَّ.

ب- أرخ، يأرخ، أرْخًا بمعنى بين الوقت.

يقال أرَخَ الكتاب أي بين وقته.

وأرَّخ الكتاب أي حدد تاريخه.

**02- اصطلاحا:** يطلق التاريخ تارة على الماضي البشري ذاته، وتارة على العلم المعني بهذا الموضوع، وهذا الاشتراك حاصل حتى في اللغات الأجنبية، فكلمةHistoryالإنجليزية وكلمةHistoireالفرنسية كلاهما تدلان على الماضي البشري وعلى علم التاريخ أيضا، وقد أطلق العرب لفظة تاريخ على كتب التراجم كما في تاريخ البخاري الذي هو تراجم لرواة الحديث فقط.

إن أبا التاريخ "هيرودوت" (480- 425 ق.م)عرف التاريخ في مقدمة أعماله التاريخية بالقول بأنه: "كَتْبُ ما كُتِب للحيلولة دون زوال الأحداث من الذاكرة"، فعملية تسجيل الأحداث لكي لا تنسى أو تمحى من الذاكرة هي لب التاريخ ذاته.

لقد ذهب عبد الرحمن بن خلدون (1332- 1406 م) بعيدا في تعريف التاريخ وشكل منعطفا جديدا في كتابة وفهم التاريخ عندما عرفه على الوجه التالي: "فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو لمعرفته السوقة والأغفال...، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد عن إخبارٍ عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى... وفي باطنه نظرٌ وتحقيق، وتعليلٌدقيقٌللكائنات ومبادئها، وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأسبابها عميقٌ، فهو لذلك أصيلٌ في الحكمة عريقٌ، وجديرٌ بأن يعد في علومها وخليقٌ...، أَعلمُ أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم وأخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، وحتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا،فهمٌ محتاجٌإلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن النظر وتثبت يُفْضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبّان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تُحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني ولاقِيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثير ما وقع للمؤرخين وأيمة النقل من المغالط والحكايات والوقائع لاعتمادهم على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوا على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فظلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".

**ثانيا: علم التاريخ**:

هو علم يبحث فيه عن حوادث البشر في الزمن الماضي، فموضوعه إذا هو حوادث البشر في الزمن الماضي، وغايته المعرفة بتلك الحوادث وبأزمانها وأماكن وقوعها وبأسبابها ونتائجها.

يتكون هذا العلم من:

1. تحديد الزمن أو الوقت.
2. سجل لخبرات الإنسان الشاملة عبر العصور المتعاقدة.
3. عملية البحث والاستقصاء على سجل الخبرات.

**ثالثا: فوائد التاريخ**:

تعددت فوائده ونذكر منها:

- معرفة العوامل الأولية التي كانت سببا في المظاهر القومية الكبرى.

- التاريخ دروس ينتفع بها وليس قصصا للتسلية.

- فهم العوامل التي أدت إلى المدنية والسعادة الحاضرة لتستنير البصائر ولتأخذ في طرق العمل الحقيقي للوصول إلى المجد القومي متعظين بأخبار من سبقونا من الامم.

- بيان فضائل الشعوب والأفراد وما أدى إليه العمل بتلك الفضائل.

- محاولة الوصول إلى"**أن الأمة التي لا تعرف تاريخها في ماضيها، لا تدرك حقيقة حاضرها، ولا تملك الاستعداد لمستقبلها، لأن التاريخ بالنسبة للأمم كالضمير الحي، ولأن الفرد إذا فقد وجدانه حصر حياته في الحاضر**".

- يُعين التاريخ على إلقاء نظرة على سير الامة وأهم أحداثها وأخبار أعظم رجالها.

- تحديد الزمن والحقب طولا وقصرا.

- دراسة الخبرات عبر العصور المختلفة من حيث أسبابها وأساليب تطورها ونتائجها، تمكن الدارسة الفرد من استنباط مفاهيم وقيم ينتفع بها في حياته الحاضرة ويتزود بها في مسيرته نحو المستقبل.

- إن عملية البحث التي يتطلبها التاريخ تنمي في المتعلم مهارات الاستقصاء والفحص وسائر المهارات التفكيرية والتي تستهدف الوصول إلى الحقيقة.

- التاريخ ينفع في العظة والعبرة، فنحن ندرس تواريخ الدول والملوك لنتعلم، وندرس سير الأنبياء لنتأسى بهم، وندرس تجارب الأمم ونرى ما وقعت فيه من الأخطاء لننجو بأنفسنا عن المزلات ومواطن الضرر.

-يرى السخاوي بأن التاريخ علم فرعي مساعد لعلم الحديث، وجعل مرتبته الكبرى في تحقيق سنوات ميلاد الرواة ووفاتهم حتى تتأكد من إمكان لقاء بعضهم ببعض، ورواية بعضهم عن بعض، يقول في ذلك سفيان الثوري "**لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ**".

- يقول العز الكناني الحنبلي: "**لاشك في جلالة علم التاريخ، وعظم موقعه من الدين وشدة الحاجة الشرعية إليه لأن الأحكام الاعتقادية والمسائل الفقهية مأخوذة من كلام الهادي من الضلالة والمبصر من العمى والجهالة، والنقلة لذلك هم الواسطة بيننا وبينه، فوجب البحث عنهم والفحص عن أحوالهم، وهذا أمر مجمع عليه، والعلم المتكفل بذلك هو التاريخ، ولهذا قيل هو من فروض الكفاية**".

**رابعا:العلوم المساعدة**

لابد للمؤرخ المدقق من ولوج أبواب أخرى حتى يتمكن من الوصول إلى الحقيقة، وإذا أراد ذلك فإنه يشعر بحاجته إلى ما يسمى بالعلوم الموصلة إلى الحقيقة (المساعدة)، فقد أجمع الباحثون على ذلك، ولما كانت أصول تاريخ العرب في النصف الأول من القرن 19م ترد في اللغات: العربية، التركية، الفرنسية، الانجليزية، الالمانية، الإيطالية، البولونية، والروسية، فقد أسرع المؤرخون إلى التقاط ما ينقصهم منها، وكم كان بإمكانهم أن يتعلموها كي لا تكون الاستنتاجات موقوفة على مقدرة المترجمين من هذه اللغات.

إذا يحتاج المؤرخ في أبحاثه إلى بعض العلوم المساعدة التي تسهل له فهم حركة التاريخ وتبين مساراته، ومن أهمها نذكر ما يلي:

**1- اللغة:** يجب على المؤرخ أن يكون ملما باللغات أولها اللغة العربية إضافة إلى اللغات المعتمدة في أبحاثه، وكلما كان الباحث ملما بأكثر من لغة أجنبية كلما كان قادرا بشكل أفضل على خدمة أبحاثه ودراساته.

**2- فقه اللغة:** أي دلالة الألفاظ في العصر المدروس، لأن هناك معان عديدة للكلمات في اللغة، كما أن الكلمة (المصطلح) في مرحلة تاريخية معينة قد تؤدي معنى آخر في مرحلة أخرى، ويتأتى ذلك في إعداد معاجم.

**3- علم اللغة:** أي دراسة اللغة في حد ذاتها ومن أجل ذاتها من نحو وصرف وعلم المعاني وعلم البيان والبديع.

**4- علم قراءة الخطوط:** على المؤرخ أن يكون عالما بالخطوط التي تكتب بها اللغة التي يأخذ عنها.

**5- علم الوثائق:** هو علم يعالج قراءة الوثائق والتعرف على أسلوبها وفهم مصطلحاتها والتأكد من صحتها، سواء عن طريق معرفة نوع الورق الذي دونت، إذ لابد من معرفة المواد التي كانت تصنع منها الأختام وكيفية بصمها وعدد الأشخاص الموكلين لها.

**6- علم الاقتصاد:** إن التطور الاقتصادي الذي شهدته البشرية يعطي للمؤرخ إلماما بجانب من أهم جوانب الحياة الاجتماعية للبشرية ألا وهو الجانب الاقتصادي الذي يتناول قوى الإنتاج وعلاقاته ووسائله وأهدافه، ويضع أمام المؤرخ صورة متكاملة للظواهر الاجتماعية.

**7- علم الجغرافيا:** إن العوامل الطبيعية المختلفة تؤثر في حياة الإنسان، وتترك بصماتها على حركة التاريخ، فللجغرافيا تأثير واضح في حركة الإنسان وفي علاقاته وقدرته على الإنتاج وفي نوعية اهتماماته، فالمناخ والثروات والمواقع والتضاريس ... تحدث تباينا واضحا بين البلدان.

**8- الأدب:** هو مرآة لحياة الشعوبوتعبير صادق عن أفكار الأدباء وأحاسيسهم ومشاعرهم وتفاعلهم مع الأحداث...، يمكن ذلك من أن يعطي للمؤرخ ملامح أو إشارات أو أفكار عن حياة شعب أو جماعة من الناس في مرحلة تاريخية محددة، فلقد كان الأدب أحد الممهدات الهامة لبعض الثورات التي تركت آثارا بعيدة في تاريخ العالم، ومن الأمثلة مسرحيات توفيق الحكيم، كتابات طه حسين وعباس محمود العقاد ...،وهي جميعها صور أدبية صادقة ونماذج جيدة لما يمكن أن يقدمه الأديب إلى المؤرخ من تصوير فني رائع، فالشعر مثلا تناول قضايا الأمة العربية المعاصرة وأوضاعها السياسية والاجتماعية و...

**9- علم النفس:** إن دراسة العوامل النفسية والنوازع البشرية ومحاولة التوصل إلى المكونات النفسية لشعب من الشعوب تساعد في فهم كثير من الأحداث التاريخية، ومن الصعب الكتابة عن الشخصيات التاريخية دون دراسة العوامل النفسية التي كونت هذا الزعيم والمؤثرات المختلفة التي شكلت ميوله.

يضاف إلى ذلك كله معرفة أنواع الحبر وألوانه وأشكال الورق من حيث الطول والعرض والسماكة واللون وشركات تصديره إلى الأقطار العربية، وأصناف الاقلام وظروف استعمالها في مختلف الدوائر والدواوين، ولابد للمؤرخ العصري التبحر في العلوم الاجتماعية والفلسفية، إذا ما أراد أن ينظر إلى باطن المجتمعات الماضية ليتوصل إلى العوامل الأساسية التي أثرت في عقول السلف، وقد أظهر علماء الاجتماع أن كل حدث مضى إنما هو مظهر لقوى شتى، اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية وغير ذلك، تضافرت في إبرازه إلى حيز الوجود.

وهناك علوم مساعدة أخرى مثل: القانون والإحصاء والرياضيات والحاسب الآلي يمكن أن تسهم جميعها في مساعدة المؤرخ على حسن الاستفادة من المادة التاريخية المتوفرة، وعلى المؤرخ أن يكون ملما بتلك العلوم قادرا على الاستفادة منها في خدمة البحث التاريخي.